

سنن إلهية حاكمة: كيف يقود الظلم إلى سقوط الأمم؟



الأربعاء 13 مايو 2026 08:00 م

يطرح الأستاذ محمد مهدي عاكف المرشد العام للإخوان المسلمين (رحمه الله) في رسالة مطولة كتبها إلى إخوانه في طريق الدعوة، رؤية دعوية تقوم على ربط الواقع السياسي والاجتماعي للأمة بمفهوم السنن الإلهية في العدل والظلم وتوازن المجتمعات، حيث ينطلق الخطاب من تأكيد أن العدل هو أساس الملك وأن الظلم سبب رئيسي في انهيار الأمم وزوالها وفق ما ورد في الآيات القرآنية التي استشهد بها [] ويعرض النص لسلسلة من القضايا التي يعتبرها انعكاسًا مباشرًا لاختلال العدالة في العالم الإسلامي والعربي، مع تأكيده أن هذه الأوضاع ليست استثناء تاريخيًا بل امتداد لسنن ماضية لا تحابي أحدًا []

كما يربط الخطاب بين ما يصفه بانتشار الظلم في السياسة والاقتصاد والمجتمع والأمن وبين نتائج ذلك من تراجع الأمم وفقدان مكانتها، مستندًا إلى رؤية دينية تعتبر أن العدل الإلهي يحكم مسار التاريخ وأن تجاوز هذا العدل يؤدي إلى عقوبات دنيوية وأخروية [] ويقدم الخطاب نفسه كدعوة إصلاحية شاملة تستند إلى النصوص الدينية وتطالب بإعادة بناء العلاقة بين السلطة والمجتمع على أساس الشفافية والعدل ورفع المظالم []

السنن الإلهية في العدل والظلم ومصير الأمم

ينطلق الخطاب من التأكيد على أن لله تعالى سننًا ماضية لا تتغير ولا تتبدل في قيام الأمم أو سقوطها، حيث يؤكد أن العدل هو الأساس الذي يقوم عليه الملك وفق قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا، كما يشدد على أن إقامة العدل بين الناس واجب شرعي يشمل جميع البشر دون تمييز في الجنس أو العقيدة، مستشهدًا بقوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ []

ويستكمل الخطاب بتأكيد أن الظلم بجميع أشكاله مرفوض دينيًا وأن عواقبه الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة، مستدلًا بآيات قرآنية متعددة منها وَتِلْكَ الْأُمَمُ نَحْنُ ظَلَمْنَا، وبقوله وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا، موضحًا أن هذه السنن لا تستثنى أحدًا مهما بلغت قوته أو سلطته []

ويشير الخطاب إلى أن الله سبحانه وتعالى حرم الظلم على نفسه كما ورد في الحديث القدسي يا عبادي إنني حرمت الظلم على نفسي، ليؤكد أن معيار العدالة الإلهية هو معيار شامل لا يقبل الانحراف أو الاستثناء، وأن الأمم التي تنحرف عن هذا المبدأ تواجه مصيرًا حتميًا من الانهيار والاضطراب []

مظاهر الظلم العالمي وتراجع مكانة الأمة

يتناول الخطاب ما يصفه بانتشار الظلم في العالم المعاصر، حيث يشير إلى أشكال متعددة من الاستغلال بين الدول الكبرى والدول الفقيرة، وبين الحكام والمحكومين، معتبرًا أن هذا الواقع أدى إلى اختلال ميزان القوة في العالم، مع الإشارة إلى سقوط دول كبرى تاريخيًا نتيجة الاستبداد والعدوان مثل الاتحاد السوفيتي والإمبراطوريات السابقة []

ويواصل الخطاب نقد السياسات الدولية باعتبارها قائمة على الهيمنة والاحتلال والضغط الاقتصادي، مع الإشارة إلى النزاعات في مناطق مختلفة من العالم، ويربط ذلك بما يراه امتدادًا لسياسات الظلم التاريخية التي تؤدي إلى تفكك الدول وانهيارها عندما تتجاوز حدود العدل []

وتعرض الرسالة حالة العالم العربي والإسلامي باعتبارها نموذجًا لتراجع حضاري مرتبط بغياب العدالة، حيث يشير إلى أن الأمة انتقلت من موقع القوة إلى الضعف نتيجة الاستبداد السياسي وإهدار الشورى وتزوير الإرادة العامة، مستشهدًا بقوله تعالى وَجَعَلْنَا أَهْلَهَا شِيْعًا []

الظلم السياسي والاقتصادي والاجتماعي والأمني

يركز الخطاب على أربعة محاور رئيسية للظلم، أولها المجال السياسي الذي يصفه بأنه قائم على الاستبداد وتكفيم الشورى وإهدار إرادة الشعوب، مع الإشارة إلى أن السلطة أصبحت في كثير من الحالات حكم فردي يتم فيه تهميش الكفاءات وإقصاء المعارضين

وفي المجال الاقتصادي، يشير الخطاب إلى احتكار الثروة وتوزيع غير عادل للموارد، مع الإشارة إلى بيع أصول الدولة بأثمان منخفضة وتهريب الأموال إلى الخارج، مما يؤدي إلى زيادة معدلات الفقر والاحتياج بين السكان

أما في المجال الاجتماعي، فيتحدث النص عن فجوة طبقية واسعة وانتشار الفساد الاجتماعي وتراجع فرص العمل للشباب، مما يؤدي إلى الهجرة أو الانتحار نتيجة الإحباط، وهو ما يعكس خللاً بنيوياً في توزيع الفرص

وفي المجال الأمني، ينتقد الخطاب تحول الأجهزة الأمنية إلى أدوات لقمع الحريات وملاحقة الأبرياء بدلاً من حماية المجتمع، وهو ما يراه انحرفاً عن دورها الأساسي في حفظ الأمن والعدالة

دعوة الإصلاح والتوبة وإعادة بناء المجتمع

وفي النهاية يطلق الخطاب دعوة صريحة إلى التوبة والعدالة قبل فوات الأوان، حيث يدعو إلى إطلاق الحريات واحترام حقوق الإنسان وتحقيق المساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات، مع التأكيد على ضرورة وقف تزوير الإرادة السياسية وإعادة الاعتبار للقضاء المستقل

كما يطالب بإعادة توزيع الثروات بشكل عادل، ومكافحة الفساد الاقتصادي، وتشجيع العمل والإنتاج بدلاً من البطالة والهدر، إضافة إلى ضرورة حماية موارد الدولة من البيع غير المدروس، باعتبارها أساس مستقبل الأجيال القادمة

ويشدد الخطاب على أهمية توحيد الصفوف الداخلية ورفض الصراعات الداخلية، مع الدعوة إلى إطلاق سراح المعتقلين وإعادة الحقوق لأصحابها، معتبراً أن الإصلاح الحقيقي يبدأ من إعادة بناء العلاقة بين الحاكم والمحكوم على أساس الشريعة والعدل

ويختتم الخطاب بالدعوة إلى العودة إلى الله وتحكيم شريعته، مع الاستشهاد بقوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ، مؤكداً أن هذا هو الطريق الوحيد للخروج من الأزمات التي تعيشها الأمة، وأن العدل الإلهي هو الضامن الوحيد لاستقرار المجتمعات واستمرارها